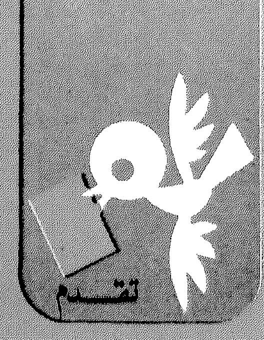
الجمعية المصرية
لنشر
المعرفة والثقافة
العالمية



قصص
و
مغامرات
للأولاد والبنات

إشراف
الدكتورة
سهير القلماوى

القرية الطيبة

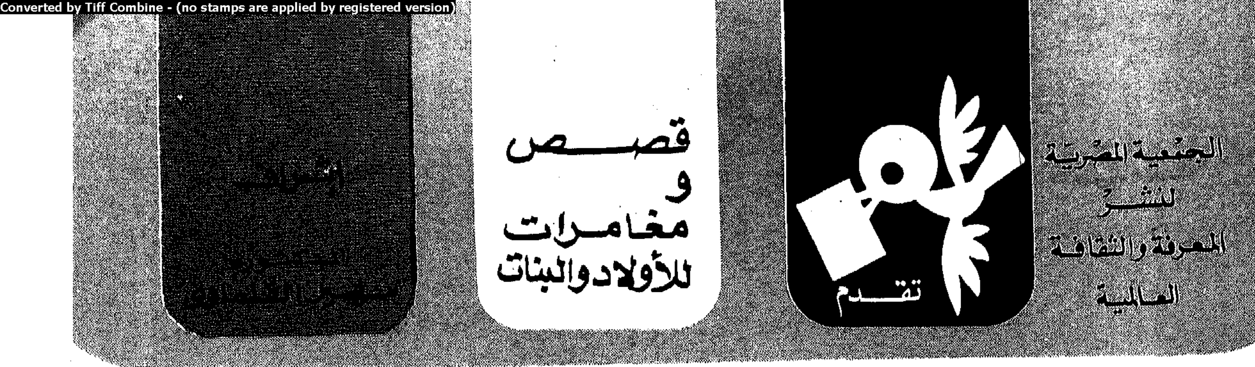
٣

تأليف علي هاشم زهران

رسوم كرم بدره

دار الشروق



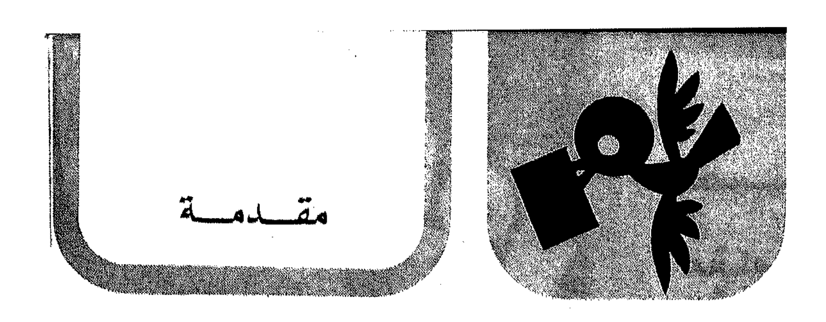


الناشر
دار الشروق

٣

القرية الطيبة

تأليف
على هاشم زهران
● الرسوم ● كرم بدره
● الإخراج الفنى ● عادل البطراوى



منذ بدء الخليقة كان تعطش الإنسان للمعرفة واضحًا فى كل دروب الحياة وتحدياتها للجنس البشرى . فكان نقل الإنسان للتكنولوجيا من الطبيعة ومكوناتها الحياتية الجامدة ، وكان بها التطور الحضارى المستمر على مدار التاريخ .

ثم جاءت الأديان السماوية لتدفع بعجلة الحضارة عن طريق تنظيم المجتمع روحيًا وماديًا ونشر العلم والمعرفة .. علم الإنسان بخالقه ومعرفته بوسائل تنظيم الحضارة وحسن استخدام مصادر القوة بها . وتصدر القرآن الكريم بدعوة للمعرفة والقراءة فجاءت أول سورة فيه سورة القلم « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » فكانت الدعوة إلى القراءة والكتابة والمعرفة أساس العقيدة الإسلامية . ومن ثم كان دفع الإسلام للحضارة دفعًا متواصلاً قويًا أثرى به حضارة الإنسان كلها بطريق مباشر أو غير مباشر .

والجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية إذ تتلمس من ثنايا التاريخ ـ تاريخ حضارة الإنسان ـ أهمية نشر الثقافة والمعرفة ،

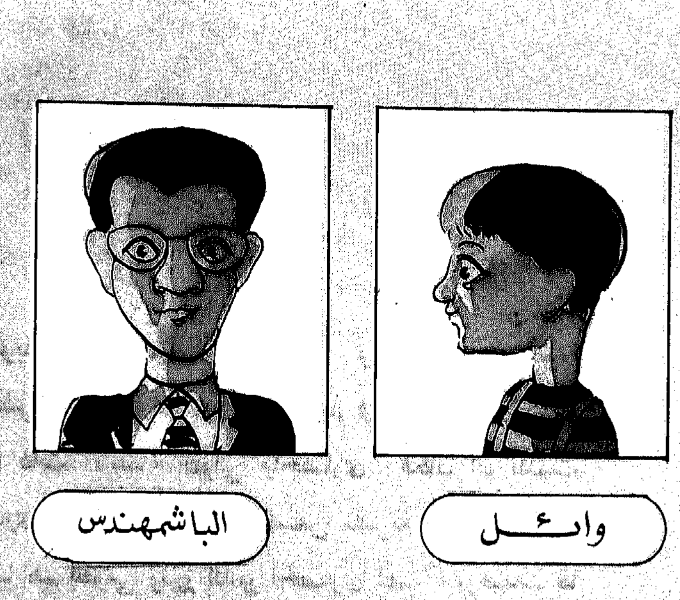
نشر هذا الكتاب
بالاشتراك مع
الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية
القاهرة ديسمبر ١٩٨١

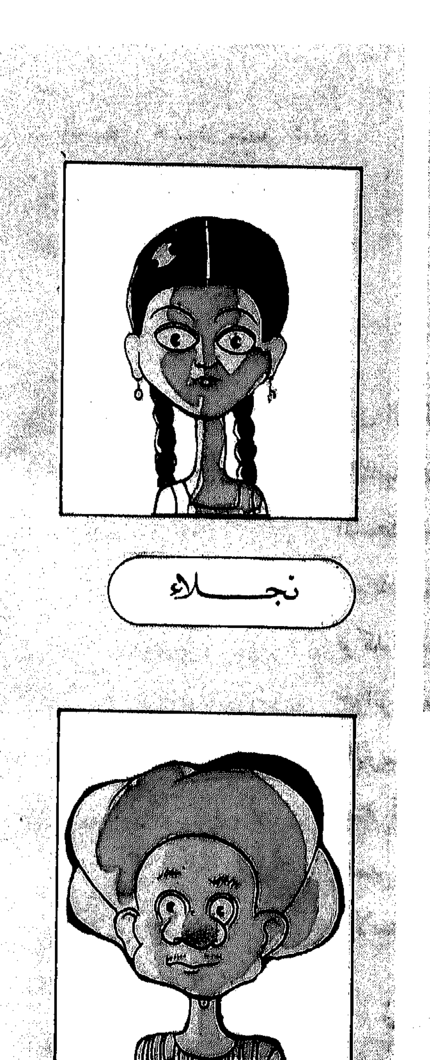
ترى الأولوية فى هذا المضمار للطفولة كلها . وفى سن ما بين التاسعة والثانية عشرة على وجه الخصوص . إذ يتم فى هذه الحقبة تكوين الشخصية ذات الانتماء القومى والحضارى . فكان أن نظمت مسابقة كبرى بين الكتاب لكتابة قصص مصرية هادفة للأطفال تؤكد انتماءهم القومى وتبرز الدور الحضارى لمصر . ورصدت لها جوائز قيمة . واختارت لها صفوة من المتخصصين فى أدب الطفل والتربية وعلم نفس الطفل والعاملين فى صناعة الكتاب . فألفت هيئة تحكيم من الأساتذة الدكتورة سهير القلماوى والأستاذ الدكتور محمد محمود رضوان والمرحوم الأستاذ الدكتور محمد كامل النحاس والأستاذ محمد المعلم .

ثم كان قرار الجمعية بأن تنتظم القصص الفائزة فى هذه المسابقة مع القصص الأخرى التى لم يتح لها الحظ بالفوز . وإن كانت قد نالت تقدير أعضاء هيئة التحكيم وتنويههم بقيمتها فى سلسلة تصدر شهريًا لتخدم الأهداف القومية والتربوية التى استهدفتها المسابقة .

والله ولى التوفيق ..

١٠٨١ كورنيش النيل - جاردن سيتى
القاهرة
ج . م . ع


وائـــل
الباشمهندس


نجـــلاء
عم رضوان



● أبي يعـــود ●

كانت مفاجأةً سارَّةً لى . حينما فتحتُ البابَ فوجدتُ أبى وقد عادَ من القريةِ النائيةِ التى يعملُ بها . ألقيتُ بنفسى بين ذراعيه . احتضنَنى بشوقٍ وحُبٍّ وقبَّلنى . وسأل عن أمِّى ، وعن أختى نجلاءَ . أخبرتُه أنَّ أُمِّى قد ذهبتْ لشراءِ بعض الحاجات ، وصَحِبَتْ معها نجلاءَ .

تعجَّبتُ كثيرًا لأن أبى كان معنا فى الأسبوع الماضى . وهو لا يأتى إلينا إلَّا كلَّ شهرٍ مرَّةً . فلماذا جاء هذه المرةَ قبلَ موعدِه ؟ إنَّ فى الأمرِ سرًّا . ولكنْ لا يصحُّ أن أسألَه الآنَ لماذا جاء هذه المرة مبكرًا ..

وبقدر ما تعجبتُ فقد فَرِحْتُ . إذْ كان معنى حضورِه أننا سنذهبُ إلى السينما والملاهى ، والنزهةِ فى الحدائق ، حتى تتعبَ أقدامُنا من كثرة المشى . والحقيقةُ أن أُمِّى لا تحرِمُنا من كلِّ هذا ، ولكنَّ وجودَ أبى يجعلُ

للنزهةِ والسينما طَعْمًا آخرَ ، واجتماعُ شَمْلِ الأسرةِ كلِّها يزيدُ الحياةَ بهجةً وسعادةً .

وأهمُّ من ذلك كُلِّه ، تلك الحكاياتُ التى كان يأتى مُحَمَّلاً بها من القريةِ النائية التى يعملُ بها مهندسًا زراعيًّا . والتى كان يسمِّيها « **القرية الطيبة** » . لأن أهلَها جميعًا طيبون . يحبون الخيرَ لأنفسِهم وللناسِ ، يعملون طيلةَ اليومِ فى صبرٍ وإخلاصٍ من أجل لُقمةِ العيش ، لا أحدَ يكذبُ على الآخَر .. لا أحدَ يسرقُ شيئًا من الآخر ، كلّ فردٍ منهم حينما يأتى موعدُ الصلاةِ يتركُ عملَه ليؤدِّىَ فرضَ الصلاة ، ويسجدَ للهِ عَزَّ وجَلَّ داعيًا أن يوفِّقَه إلى الخيرِ . وأن يباركَ له فيما زرعتْ يداه .

وحين جاءت أمِّى ونجلاءُ من الخارج ، وسمعْنَا صوتَ نجلاءَ أمامَ الباب . اختبأَ أبى خلفَ الباب لتكونَ مفاجأةً لهما . وفتحتُ أنا . وحين دخلا إلى الشقَّةِ وجدا أبى أمامَهما ، فصاحا من شِدَّةِ الفَرَحِ . وأخذ أبى يحتضنُهما فى حَنَانٍ ، ويُلقى بنجلاءَ إلى أعلى ثم يتلقَّفُها[١] بين يديْهِ ، وهى تضحَكُ بصوتِها الرفيعِ العالى .

وأبى يعرفُ متى يكونُ العملُ والجِدُّ . ومتى يكون الضَّحِكُ والمِزَاح . وقالت لى أمى ذاتَ يومٍ . إن ذلك هو سِرُّ نجاحِه فى حياتِه . لأنه لا يجعلُ الضحكَ يطغَى على الجِدِّ . وفى الوقت نفسِه لا يحرمُ نفسَه من ساعاتٍ يُريح نفسَه فيها من العمل . ويتفرغُ للراحةِ والاستِجمام[٢] .

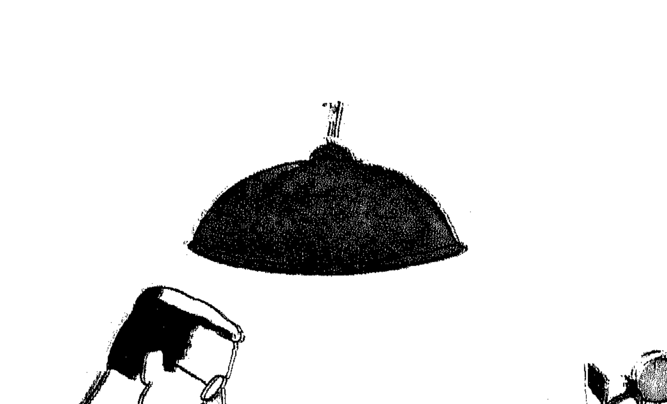
من أجل هذا أحببتُ أبى كثيرًا . وتعوَّدْتُ أن أقتنعَ بكلِّ كلمةٍ يقولُها لى ، وكلِّ نصيحة ينصحُنى بها . وتمنيتُ أن أصبحَ ناجحًا فى حياتى مثلَه .

---

(١) يتلقفها : يمسكها قبل أن تسقط

(٢) الاستجمام : الراحة .







وفى المساء ، بعد أن تناولنا عَشَاءَنا . قالت أمى لأبى وهى تبتسمُ :

ـ ماذا أحضرتَ لنا من القريةِ التى تعملُ بها .. ؟

فقال :

ـ أحضرتُ لكم حكاياتٍ كثيرةً يمكن أن تملأَ هذه الشقَّة .

ـ وأين هى .. ؟!

فأشار إلى رأسِه ضاحكًا وقال :

ـ هنا فى هذا الصُّندوقِ المُغْلَق .

وضحكْنا جميعًا . وكانت ليلةً سعيدةً .



إلى القريـــة الطيبـــة

في صباح اليوم التالى ، استيقظْنا مبكِّرين كعادتنا كلَّ يوم . وجمعتْنا مائدةُ الإفطار . وما إنْ انتهيْنا من الطعامِ حتى دخلَ أبى إلى حجرتِهِ . وحين دخلتُ إليه لأقدِّمَ له الشايَ وجدتُه مستغرِقًا فى قراءة[1] الصُّحُفِ . جلستُ إلى جوارِه وقلت :

ـ إنى أرى الصحفَ تتحدثُ كثيرًا عن الحرب . فهل سندخلُ الحربَ قريبًا يا أبى ؟

ـ أظنُّ ذلك . فإن العدوَّ قد زاد فى طغيانه[2] . إن ضربَ المدنِ والمصانعِ والمدارسِ قد تكرَّرَ كثيرًا فى الأيامِ الماضية .

ـ بل إنهم يضربون المساجدَ والكنائسَ .. !

ـ نعم يا بنى . إنهم يحاولون تدميرَ معالمِ الحضارةِ فى أنحاءِ الأمةِ العربيةِ . ولكنَّ ذلك لن يمرَّ بسلام .

ـ وهل سننتصرُ .. ؟

ـ سننتصرُ .. سننتصرُ بإذنِ اللهِ . لأننا نحبُّ مصرَ ، وحبُّكَ للشيءِ الذى تحاربُ من أجلِه أهمُّ عواملِ الانتصار .

وقطعتْ أمى حديثَنا حين دخلتْ قائلةً :

ـ هيا بنا نخرج لنشتريَ ما يلزمُنا . فليس أمامَنا وقتٌ

---

(١) مستغرقا فى القراءة : يعطى القراءة كل اهتمامه .

(٢) طغيانه : ظلمه .

لم أفهمْ ماذا تقصدُ أمى من شراءِ ما يلزمُنا ، ولم أعرف لماذا ليس أمامنا وقت . وحين خرجنا لاحظتُ أن خروجَنا لم يكن بهدفِ النزهة ، ولكن لشراءِ كميةٍ كبيرةٍ من الملابس لنا جميعًا ، كما لاحظَتُ أن أبي كان يسيرُ معنا صامتًا ، يبدو عليه الانشغالُ ، فلم يضحكْ معنا كثيرًا كعادتِه أثناءَ السير. ولم يَحْكِ لنا أىَّ حكايةٍ من حكاياتِ القرية الطيبة . وأردتُ أن أُخرجَه من صمتِه فقلتُ له :

ماذا يشغلُك يا أبي .. ؟!

لا شيءَ .. لا شيءَ يا وائل .

لقد عودتَنا الصدقَ والصراحةَ . فكيف تقولُ : لا شيء ؟! .. إنك مثلاً لم تسألْنى : ماذا فعلتَ فى الامتحان .

آه .. ماذا فعلتَ فى الامتحان ؟

نجحتُ وكان ترتيبى الأولَ على الفصل .

احتضننى وقبلنى فى سرورٍ وقال :

ولماذا لم تخبرْنى .. ؟!

إنك لم تسألْنى . وقد عودتَنى ألاَّ أقولَ الشيءَ إلا فى الوقتِ المناسبِ .

ويبدو أن الوقت كان مناسبًا حقًا . فقد صحِبنى أبي إلى أحد المحلاتِ الكبيرة ، واشترى لى دراجةً رائعةً ، كان قد وعدنى بها إذا نجحتُ .

وفى المساءِ حين جلسنا جميعًا . والهدوءُ يسيطرُ على كلِّ شيءٍ فى المنزل ، ولم يكن هناك صوتٌ فى المكان سوى صوتِ القطةِ الصغيرة نوسة وهى

تموءُ مواءَها[1] الخافِت ، بينما نجلاءُ تعْدُو خلفَها لتداعبها فى فَرَحٍ ، فى تلك اللحظةِ الهادئةِ ، واجهتُ أبى بالسؤالِ الذى حيَّرَنى :

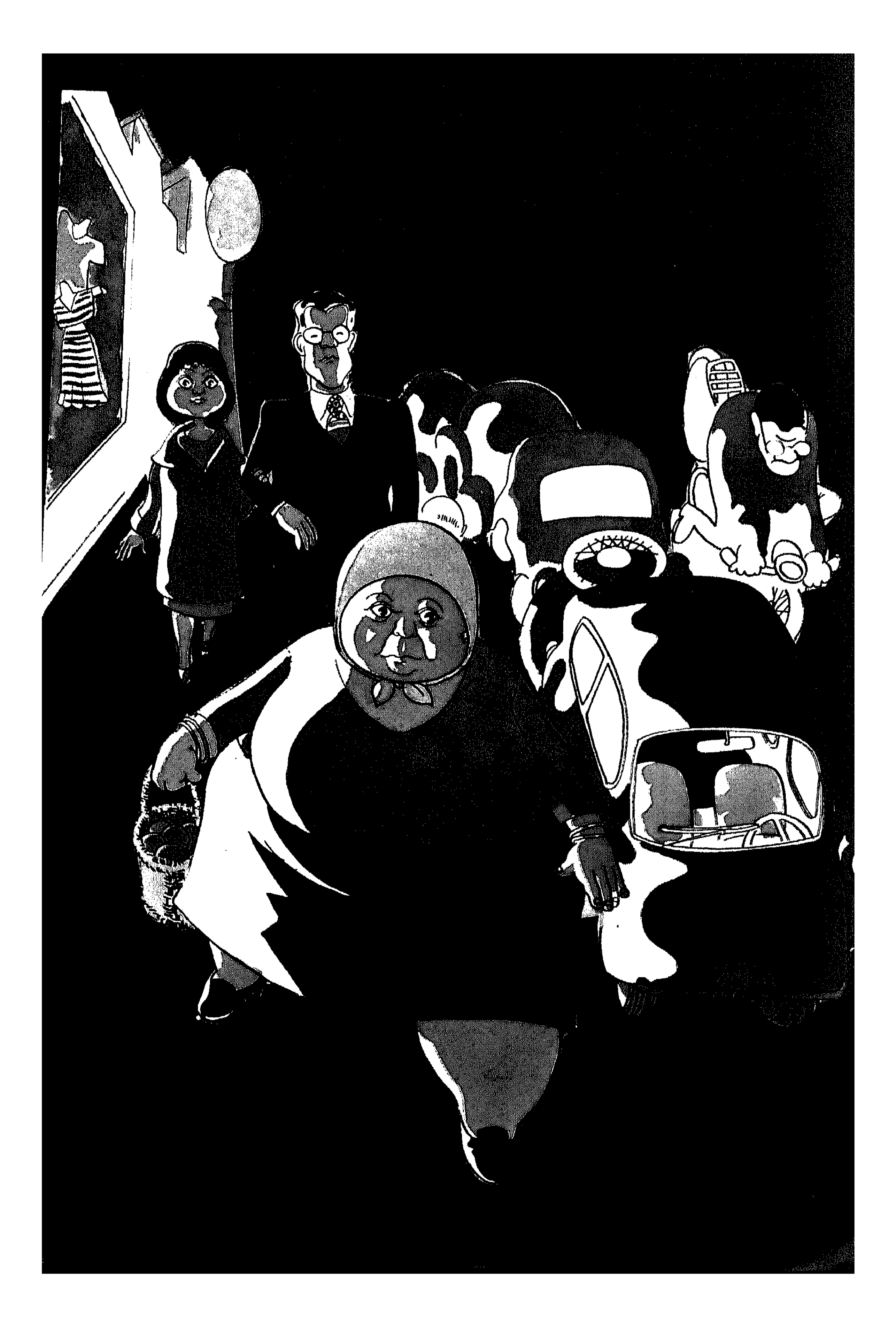
ـ ما معنى تلك الملابسِ الكثيرةِ التى اشتريناها ؟ وما معنى صَمْتِك الطويلِ ؟ ولماذا لم تَحْكِ لنا حكاياتِك عن القريةِ الطيبة ؟ !

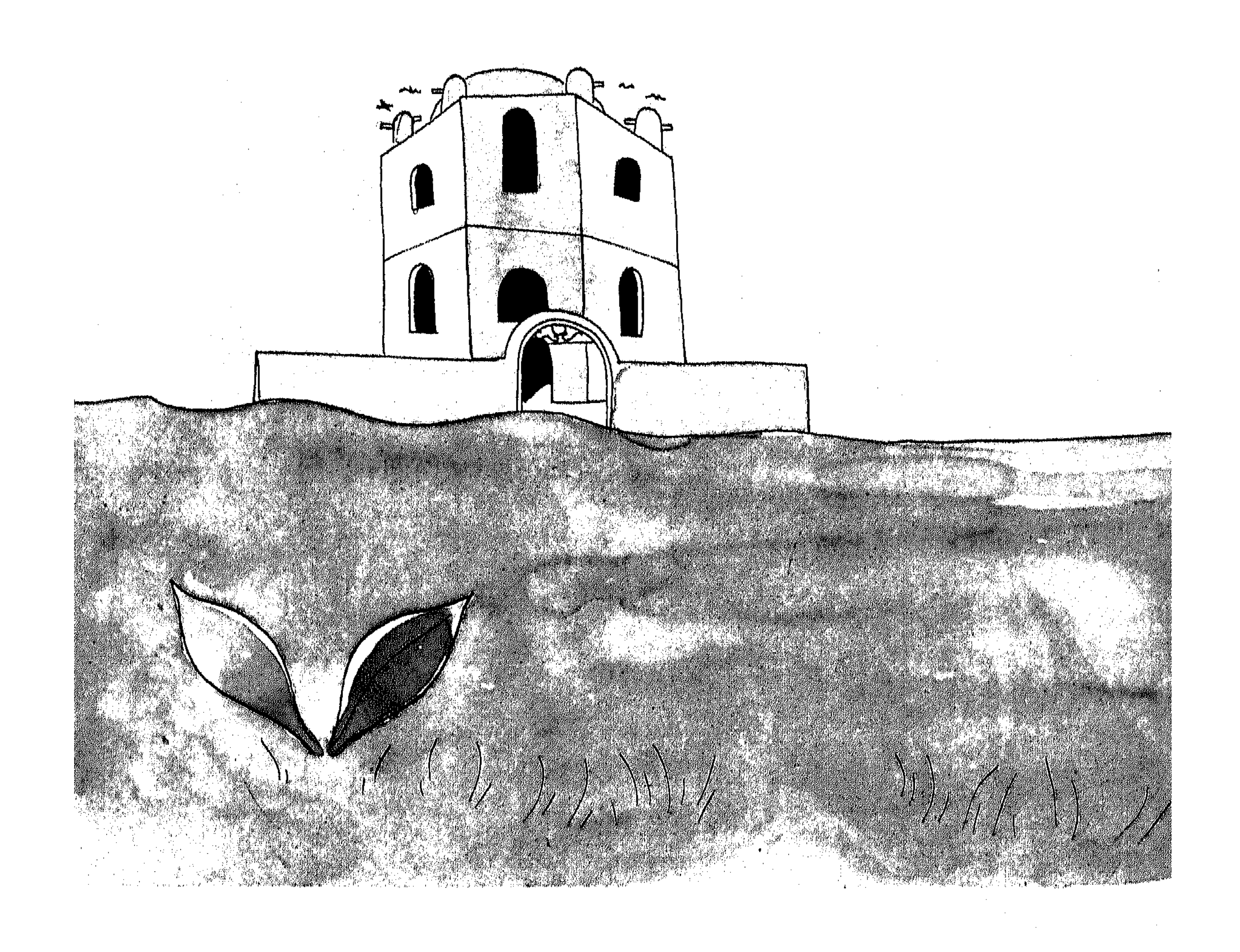
ثَبَّتَ أبى عينيْه فى وجهى بِثِقَةٍ . ونظر إلى أمىّ ثم إلى نجلاءَ وقال بصوتٍ واضحٍ :

ـ لأننا جميعًا سوف نذهبُ غدًا إلى القريةِ الطيبةِ .

---

(١) المواء : صوت القطة .





● بين أحضـــان الريـــف ●

حين شاهدْنا المنزلَ الذى سنسكنُ فيه ، والحديقةَ المحيطةَ به ، نَسينا كلَّ عَنَاءِ السفرِ . نسينا متاعبَ القطارِ الذى هزَّ أجسامَنا حتى كاد كلُّ جزءٍ منها ينفصلُ عن الآخَرِ . نسينا المشوارَ من محطة السكةَ الحديدية إلى المنزل ، والطريقَ المُتْرِبَ الطويلَ الذى تسبَّبَ فى خلْعِ حِذائى أكثرَ من مرةٍ حين كانت قَدَمَاىَ تغوصانِ فيه . نسينا كلَّ هذا ، ولم نذكُرْ إلا هذا الجَمَالَ .. جمالَ المنزلِ ، وروعةَ الحديقةِ .

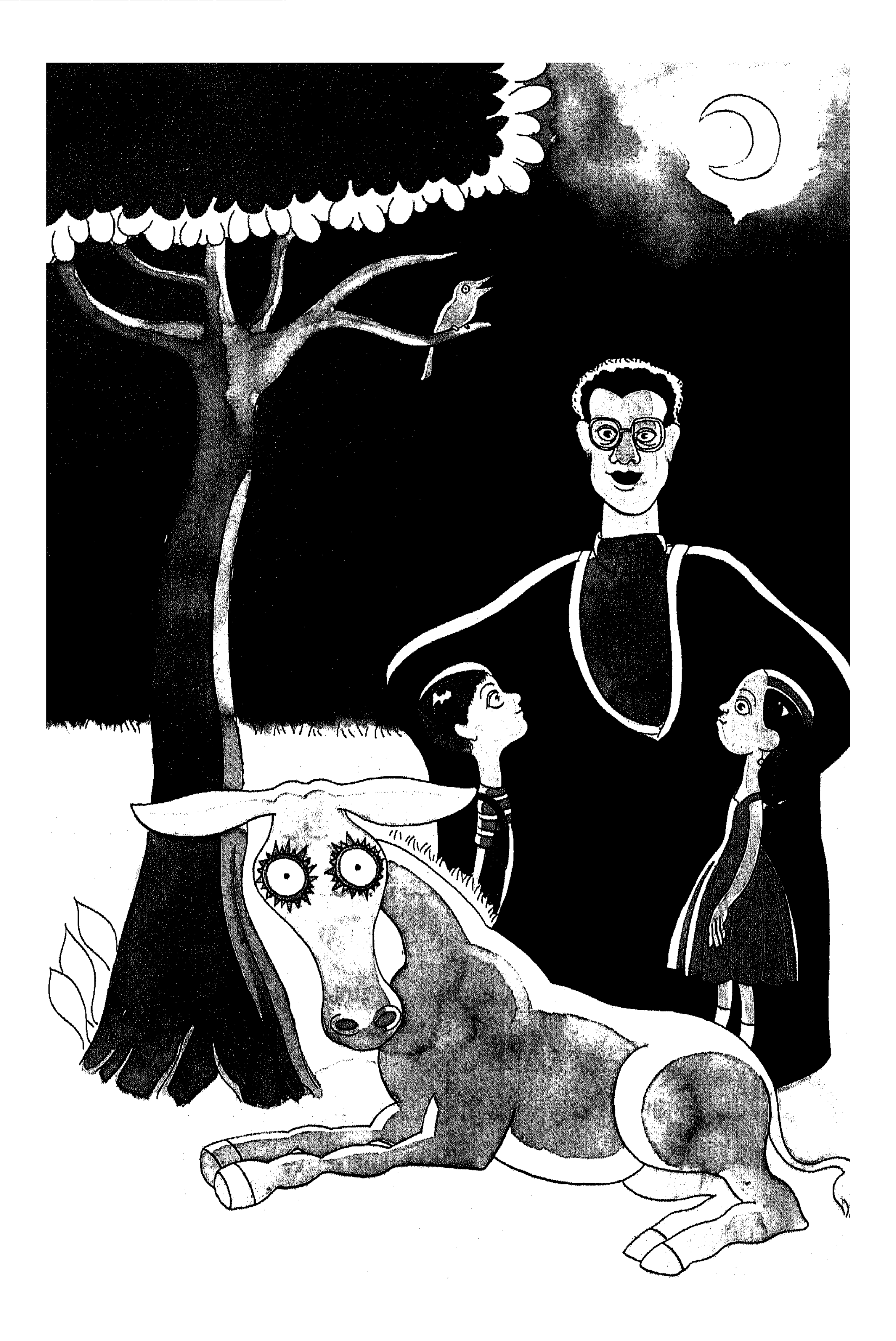


وكانَ أولُ شيءٍ كشفناه ، هو أن المنزلَ لا يقعُ فى القريةِ الطيبةِ نفسِها . ولكن بينَه وبينها مسافةٌ تقربُ من الكيلو متر. تحيط به المزارعُ من كلِّ جانبٍ . وعلى بُعدِ أمتارٍ منه ترعةٌ واسعةٌ ، حين رأيتُها صمّمتُ على أن أجهِّزَ سنّارتى منذ الآنَ لصيدِ السمك . أما أمى فلم تذكر سوى شىءٍ واحدٍ هو أن الضفادعَ سوف تظلُّ تُقْلِقُ نومنا بأصواتِها العالية ، ولكنَّ أبى أخبرَها بأننا سنعتادُ على تلك الأصواتِ ، وسوف تُصبح لكثرةِ تكرارِها كأنَّها لا وجودَ لها .

أما نجلاءُ ــ حين شاهدتْ الكلبَ الكبيرَ السنّ يَنْبحُ فى الحديقة لمَّا رآنا ــ فقد قامت تردِّد وراءَه : **هَوْ .. هَوْ ..**



ووقفْنا نتأملُ المنزلَ الذى يتكوّن من طَابَقيْن ، وقد تمَّ طلاؤُه بلونٍ أصفرَ هادئٍ يريحُ العين . ثم تجوَّلْنا فى الحديقة رغْمَ التعب . فوجدنا أن أبى بما له من خِبرةٍ ومعرفةٍ بالزراعة وأنواع النباتاتِ المختلفةِ لم يَنْسَ نوعًا من أنواع الفاكهةِ إلا زرعه فى الحديقةِ ، ولم يترك صِنْفًا من أصنافِ الزهور إلا غَرسَه بطريقةٍ متناسقةٍ بديعة ، وعاونَه فى ذلك عمّ رضوان الجنائنىّ . هذا الرجلُ المخلِص الذى كان أبى قد حدَّثنا عنه كثيرًا .



وأدخل عمّ رضوان الحقائبَ ، ودخلْنا وأبى يلاطفُنا وهو يقول :

ـ إذا كان البيتُ جميلاً ، فسوف يصبحُ أكثرَ جمالاً بعدَ حضورِكم .

ثم وجَّهَ الكلامَ إلى أمّى :

ـ أما أنتِ يا سلوى فإنك ستقومين بدوْرِكِ فى جَعْلِ هذا البيتِ جَنَّةً رائعةً .

فى المساء ، بعد أن أكلْنا البطَّ اللذيذ الذى صنعتْه أمى وعاونتْها نبويةُ الفلاحة الطيبة التى جاءت من القريةِ لتساعدَ أمّى فى أعمال البيت ـ جلسْنا جميعًا نتسامرُ ، وأحسَسْنا حقًّا بحلاوةِ الرِّيفِ ، ولذةِ الهدوءِ والسكونِ الشامل . وبدأ أبى الحديثَ :

ـ هنا ، لن تزعجنا ضوضاءُ الشارع ، ولن نتنفسَ فى صدورِنا غُبَارَ السياراتِ والمصانعِ .

وبدأ صوتُ الضفادع يَعْلُو ، حتى كاد يَطْغَى على حديثنا ، فنظرتْ أمى إلى أبى وكأنها تكمِّل حديثَه المقطوع :

ـ وهنا أيضًا سوف ننامُ على أنغامِ سيمفونيةِ الضفادعِ الرائعةِ .

وضحك أبى وضحكْنا جميعًا ، ومن قلب الضحكاتِ خطر لى سؤالٌ ألقيتهُ على أبى فوْرًا :

ـ أريدُ أن أعرفَ يا أبى ، لماذا تفضِّلُ العملَ فى الريفِ ؟

وأجاب أبى وهو يؤكِّد على كلِّ حرفٍ مما يقول :

ـ إنك تعلم يا وائل أنى نشأت فى الريف ، وأشعر نحو القرية بحبٍّ عظيم . لذلك ، حينما تخرجتُ فى كلية الزراعة ، أحسستُ أن مكانى بين

المزارعِ وليس الجلوس على المكاتب . وحين جئتُ لأعملَ فى هذه القرية ، لم أشعرْ بالغُربة ، بل أحسستُ أنى فى قريتى التى نشأتُ فيها ، وبين أهلى . وهذا ما جعلنى أحبُّ عملى كثيرًا .. شىءٌ عظيم جدًا يا بنى أن تحبَّ عملك . إن ذلك يكفلُ لك النجاحَ دائمًا .

وأنا اليوم أشرف على مشروع كبيرٍ سوف يستغرقُ تنفيذُه وقتًا طويلاً ، وهذا ما جعلنى أحضرُكم للإقامة معى ، حتى أستطيعَ العملَ وأنا مستريحٌ لوجودِكم إلى جوارى .. أمامى ألفُ فدانٍ من الرمالِ تقعُ فى بطنِ الجبلِ ، تبعدُ مسافةً طويلةً عن القريةِ . ألفُ فدانٍ يجب أن تتحولَ إلى أرضٍ خضراءَ . وهذا يتطلبُ بقائى هنا دائمًا ومعى زملائى ، وأهلُ القريةِ جميعًا كلٌّ منهم له دَوْرُه فى المشروع . وبعد أيامٍ سوف تأتى الجراراتُ والمُعَدَّاتُ اللازمة ، وسوف يتحَّولُ بطنُ الجبلِ إلى موقعِ عَمَلٍ . إنها يا ولدى ثورةٌ .. ثورةٌ خضراءُ .

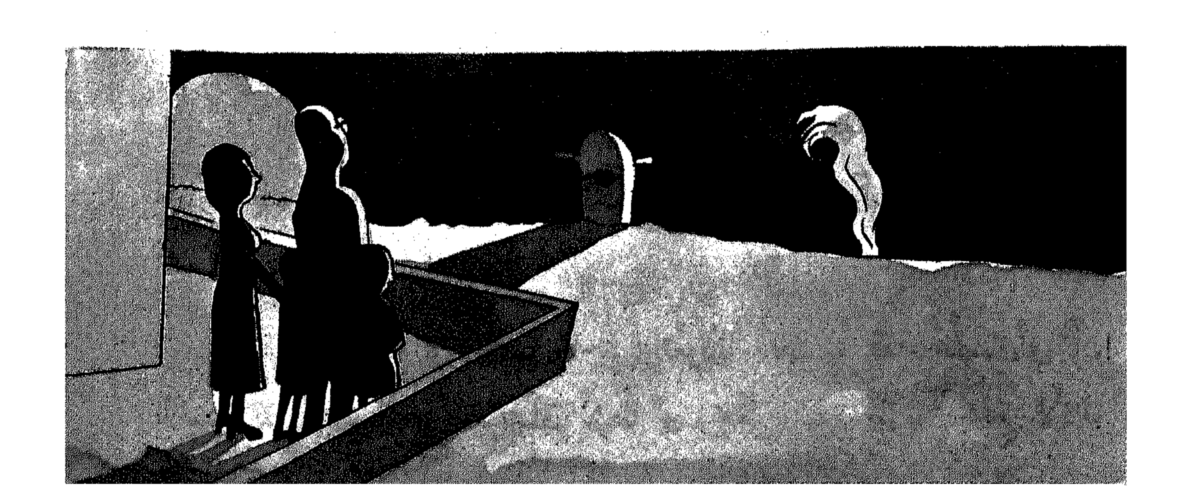
وتدخل عم رضوان الجنائنى فى الحديث بصوتهِ الوقور . وهو يقومُ بعمل الشاى :

ـ ولكنَّ حياةَ المدينةِ كلُّها راحةٌ ياباشمهندس حسام .

فأجاب أبى وهو يسترسلَ فى حديثه :

ـ إن المدينةَ جزءٌ من وطننا ، والقريةَ جزءٌ آخرُ منه ، ولكن القريةَ تحتاجُ أكثرَ إلى جهودِ أبناء الوطن . وإذا فضَّل جميع المهندسين البقاءَ فى المدينة فمن يقومُ بمثل هذا المشروع ؟ ومن يستصلحُ تلك الأراضى الواسعةَ ؟ ومن يحوِّلها إلى أرضٍ خضراءَ تعودُ علينا جميعًا بالخير ؟ ..





وأمُّك .. سوف يكون لها دور معنا .. ففى القريةِ نساءٌ لا يقرأْنَ ولا يكتبنَ .. وتستطيعُ أن تقومَ بدورِها فى تعليمهِنَّ القراءةَ والكتابةَ .. والحياكةَ أيضًا ..

وأنت أيضًا يا وائل . إنك لم تَعُدْ صغيرًا ، فأنتَ فى العاشرةِ من عمرِك ، وسوف يأتى دورك لتكون ..

وتوقّف أبى عن الحديث . فقلتُ مسرعا :

ـ أبى .. أريدُ أن أكون طبيبًا .

ـ يمكنك ذلك يا ولدى . إذا اجتهدتَ منذ الآن .

وسمعنا فى الفضاءِ البعيدِ عُوَاءَ ذئبٍ ، وبعدَها دَوَّى صوتُ طَلَقٍ نارىٍّ .

فنظرتُ إلى أبى ضاحكًا وقلت :

ـ يبدو أن الريفَ هادئٌ حقًّا يا أبى ..

● حيـاة جديـدة ●

يبدأُ النشاطُ اليوميُّ لأسرتِنا حين تعلو زقزقة العصافير على الأشجارِ المجاورةِ لنوافذ البيت . ولحظتَها تكونُ الشمسُ قد بدأتْ تستيقظُ وتنشرُ أشعتَها على البيتِ والحديقةِ .

يستيقظُ الجميعُ فى وقتٍ واحدٍ . تعوَّدْنا ذلك ، فقد علَّمنَا أبى أن الاستيقاظَ المبكِّرَ يجعلُ الإنسانَ نَشِطًا ، ويجعل اليومَ طويلاً يتسعُ لأداءِ كلِّ واجباتِنا .

يجتمعُ شملُ الأسرةِ أولاً لصلاةِ الصبحِ جماعةً ، فإن الإنسانَ إذا بدأَ يومَه بالصلاةِ وفَّقَه اللهُ فى عملِه طَوالَ يومِه ، ثم نتناولُ الإفطارَ جميعًا ، وبعد ذلك يبدأُ كلٌّ منا فى أداءِ ما عليه من واجباتٍ .

أحملُ أنا الطعامَ والماءَ للدواجن ، وأذهبُ فأطعمُها وأسقيها ، وأنظِّفُ لها الحظيرةَ أحيانًا بدلاً من عم رضوان ، فأنا أحبّ الطيورَ كثيرًا وأهتمُّ بها .

وفى أثناءِ ذلك يكون أبى قد ارتدَى ملابسَه ، ثم تأتى السيارةُ لتأخذَه إلى موقع عملِه ، وأبقى أنا وأمى فى البيتِ حيثُ إننا فى إجازةِ المدارس الصيفية . أما نجلاءُ التى تبلغ من العمر الآنَ خمسَ سنواتٍ فكانت تلعبُ إلى جوارِ أمى داخلَ البيت . وأحيانًا أصطحبُها لتلعبَ معى بالكرة ، أو ألاحظها وهى تركب دراجتَها الصغيرة ، أو أقطف لها بعضَ الثمارِ من أشجارِ الحديقةِ .

وقريبًا منا كان عم رضوان يؤدِّى عملَه فى الحديقةِ فى صَبْرٍ وإتقانٍ ، يقلِّمُ الأشجارَ ويُروِيها ، ويُروِى الزهورَ ، ويسوِّى الحشائش .

أما نبويةُ فكانت تقوم بعملِها فى البيت ، وتؤدِّى كلَّ ما تكلِّفها أمى به من أعمالٍ ، على أحسنِ وَجْهٍ ، فهى طيبةٌ ، وتحبُّنا كثيرًا ، ولذلك فإننا جميعًا نحبُّها ونعطفُ عليها .

وهكذا مرَّتْ علينا شهورٌ فى الريف الهادئ ، ونحن فى سعادةٍ وهناءةٍ ، أما أنا ونجلاءُ فقد كانت الحديقةُ الجميلةُ من أهمِّ أسبابِ سعادتِنا ، نلعبُ فيها ونجرى بحرِّية ، ونقطفُ من أشجارِها أو زهورِها الجميلةِ ما نريد بِحِرْصٍ . دون أن نُفسدَ شيئا ، لأن أبى قال لنا إنه ما ينبغى أن نفسدَ الأشياءَ الجميلة فى الحياة ، فهذه الأشياءُ الجميلةُ هى التى تجعلُنا نحبُّ الحياةَ .

ذاتَ مساءٍ عاد أبى من عملِه . ومعه (**الريِّس سلطان**) ملاحظُ العمّال . ذلك الرجلُ الأسمرُ الوجهِ ، الطيبُ القلبِ . ولاحظتُ أن الاثنين كانا فى غايةِ الفرح ، لأنه فى اليوم التالى سوف يبدأُ المشروعُ الكبيرُ الذى جئنا إلى الريفِ من أجلِه .

وسمعتُ أبى يقول :

ـ قبلَ الشروقِ جهِّزْ رجالَك يا سلطان . نريد أن نبدأَ العملَ مبكِّرًا .

ـ اطمئنَّ ياباشمهندس ، البلدُ كلُّه سيعمل معنا .

ـ لا تقلْ البلدُ كله ، هناك بعضُ الناس لن يعملوا معنا ، بل ربما وقفوا ضِدَّنا .

ـ الذين تقصدُهم لَيْسُوا من البلد ، إنهم أشرارٌ لا نعلمُ من أين جاءوا .

ـ علينا أن نعملَ ونحن على حَذَرٍ .



ـ لا تخفْ ياباشمهندس ، كلنا رجالُك ، واللهُ معنا .

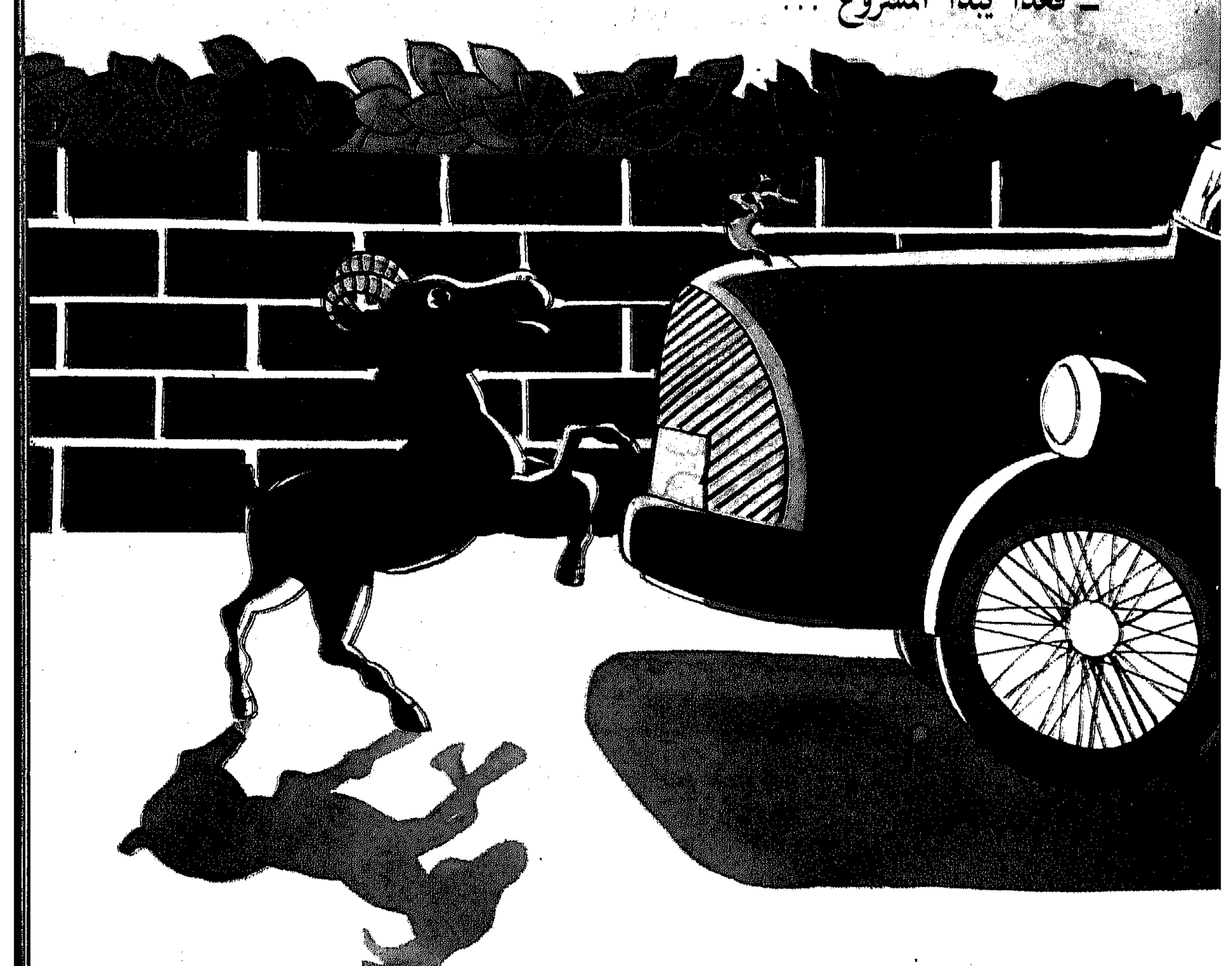
سمعتُ كلماتِ أبى وكلماتِ الريس سلطان ، وأقلقتْنى . ما هو الشىءُ الذى يجبُ أن يكونوا على حَذَرٍ منه ؟ ومَنْ هم الناسُ الذين قد يقفون ضدَّهم .. ؟!

وامتلأ رأسى بالتساؤلاتِ ، ولم أسألْ أبى حتى لا أشغلَه ، وهو يجبُ أن ينامَ مبكّرًا ، فعليه فى الصباح أعباءٌ كبيرة . وبدأتُ أُحِسُّ أن هناك أشياءَ كثيرةً لا أعرفُها عن أبى .

وقبلَ أن ينامَ أبى مرَّ على حجرتى وقال :

ـ جهِّزْ نفسَك يا وائل ، فسوف تذهبُ فى الصباحِ إلى الموقعِ ...

ـ فغدًا يبدأُ المشروع ...



● المشـــروع العظـــيم ●

فى الموقعِ الكبير انتشرت الجرَّاراتُ والأوناشُ وغيرُها من المُعَدَّاتِ الكبيرة ، وبدأ العملُ . ورأيتُ أبى يذهبُ هنا وهناك ، ويعملُ بيدِه فى كلِّ مكانٍ ، ويقودُ الجرَّارَ أحيانًا ، ويلاحظُ الونشَ وهو يعملُ ، ويشيرُ إلى سائِقه بأن يتحرَّك هنا ، وأن يذهبَ إلى هناك ، والريِّس سلطان يمرُّ على العمالِ فى نشاطٍ ، ويكلِّفهم بأعمالٍ كثيرة ، والعمالُ ينتشرون فوق الرمالِ كأنهم خَلِيَّةُ نحلٍ ، ويعملون وهم فى غايةِ السرور .

وتعطَّلَ جرارٌ فذهب أبى مسرعًا وأحضر (الميكانيكىَّ) وظلَّ يعملُ معه حتى تحرَّكَ الجرارُ من جديد .

واستمر العملُ ، وأنا أجرى فى كلِّ مكانٍ أنا وعادلٌ ابنُ الريّس سلطان ، الذى سيكون زميلى فى المدرسة حينما تبدأُ الدراسة ، وهكذا سيكون لى صديقٌ بعد أن تركتُ كلَّ أصدقائى فى المدينة . وركبنا جرارًا إلى جوارِ السائق ، ومضى بنا فوقَ الرمال ، ونحن فى سعادة .

وفجأةً نظرْنا إلى أعلى التَّلِّ ، فوجدْنا مجموعةً من الرجال ، أجسامُهم فارِعةٌ[1] ، وأشكالُهم مُخيفةٌ ، يلفُّون حول رقابِهم شَمَلَاتٍ[2] تُخفى

---

(١) فارعة : مرتفعة .   (٢) شملات : جمع شملة ، وهى كساء يتلفف به (كوفية) .

أنصافَ وجوهَهم ، ويعلِّقون البنادقَ فى أكتافِهم يتقدمهم رجلٌ هو أطولُهم ، اتجه إلى أبى وقال بصوتٍ خَشِنٍ :

ـ مَنْ أَذِنَ لكم بنزولِ هذه الأرضِ ؟ .

اقترب أبى منه وقال فى هدوءٍ :

ـ وهل نزولُ هذه الأرضِ يحتاجُ إلى استئذانٍ ؟ ..

ـ حينما تكونُ هذه أرضى ، فإن ذلك يحتاجُ إلى استئذانٍ .

ـ ومن أنتَ حتى نستأذنَ منك ؟

ـ أنا المسيطرُ على هذهِ المِنْطَقَةِ كلِّها ..

ـ هذه المِنْطَقَةُ لا أحدَ يسيطرُ عليها ، فهى مِلْكٌ للجميع ، وقد جئنا لنحوِّلَها إلى أرضٍ خضراءَ من أجلِ الجميع .

فنظر الرجلُ إلى أبى بغيظٍ ، ثم قال بصوتٍ عالٍ :

ـ اجمَعْ رجالَك ياباشمهندس ، ولا تعرِّض نفسَك للمتاعب ، فلن تستطيعَ الوقوفَ أمامَ فوّاز .

ـ أنت الذى يجبُ أن تجمعَ رجالك وتنصرفوا .

ـ لقد حذَّرْتُك ، أنت الذى ابتدأتَ ، والبادِى أظلم .

وانصرف الرجلُ ، ومضى خلفَه رجالُه ، وظلْلنا نراقبهُم حتى صَعِدوا التَّلَّ ، ثم هَبَطُوا ، واختَفَوْا فى بَطْنِ الجبلِ ، وأشار أبى إلى رجالِه باستمرارِ العمل .



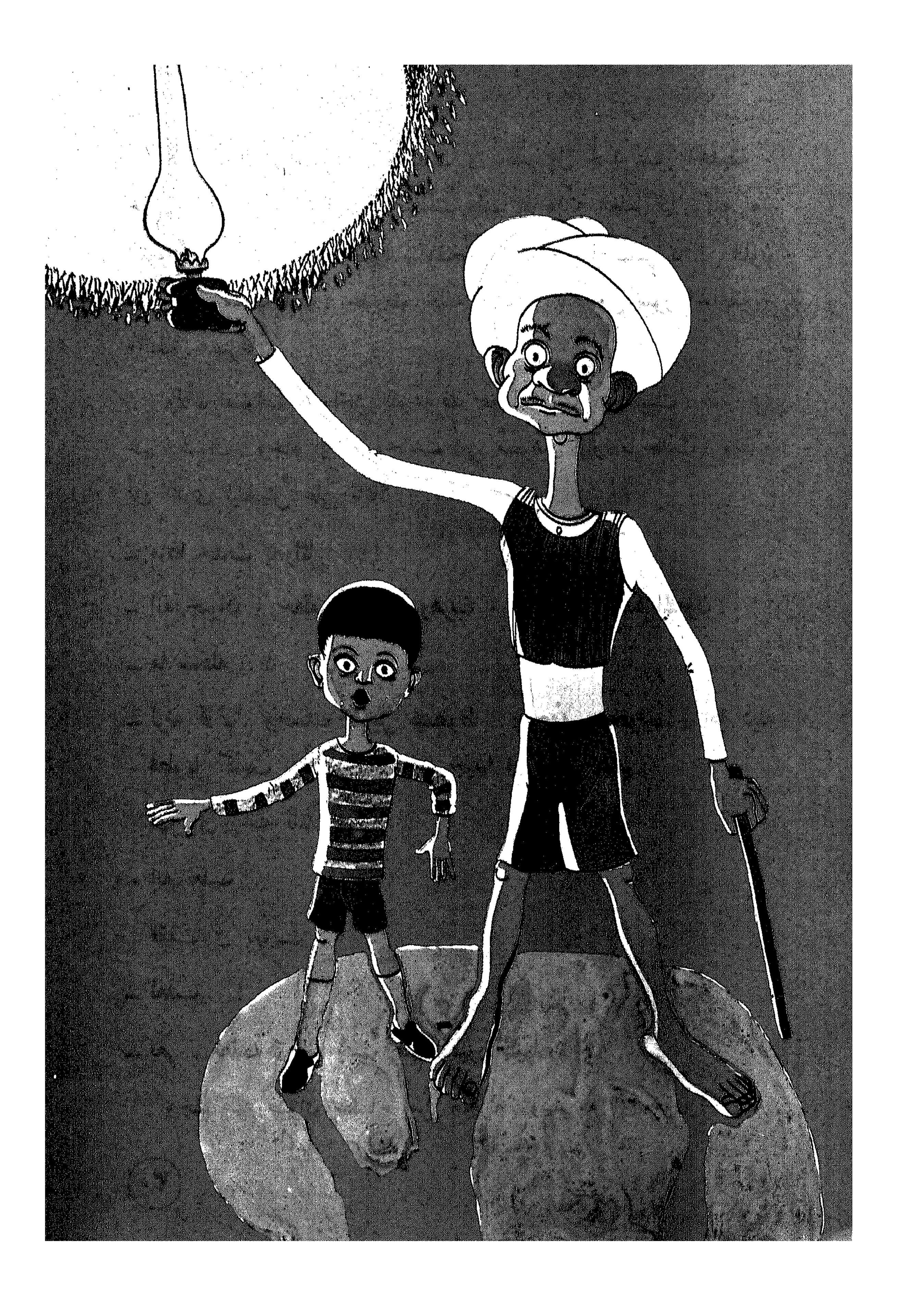
● ثعلب فى الظلام ●

نامَ أبى ، ونامت أمّى ونجلاء ، وبَقيتُ ساهرًا ـ فى حجرتى بالطابقِ الثانى من البيت ـ أقرأُ فى كتابٍ ، ثم تركتُ الكتابَ حين شَرَدْتُ (١) ببصرى عَبْرَ النافذة ، أطِلُّ على الحديقةِ بأشجارِها الباسقة ، وأزهارِها الجميلة ، التى انعكس عليها ضوءُ القمرِ الخافت ، فزاد من جمالِها . واستسلمتُ لذلك المنظرِ الرائع ، وزادنى هدوءُ المكانِ إحساسًا بالجمال .

وفجأةً ، أحسستُ بحركةٍ غيرِ عاديَّةٍ فى ركن الحديقة ، وصوتٍ غريبٍ يصدرُ من حظيرةِ الدواجن الواقعةِ فى هذا الركن . ثم بدأتْ أصواتُ الدواجنِ تتعالَى كأنها تستغيثُ ، والكلبُ الكبير السنِّ يَنْبَحُ نُباحًا متواصلا .

---

(١) شردت ببصرى عبر النافذة : نظرت من خلال النافذة .



هبطتُ السلَّم مُسْرِعًا ، وتسلَّلْتُ فى حَذَرٍ إلى جوارِ سورِ الحديقة ، حتى وصلتُ إلى الحظيرة . تحسَّسْتُ بابَها فوجدتُه مغلَقا كما تركتُه بعد الغروب . دُرْتُ حولَ الحظيرةِ ، وفجأةً رأيتُ حيوانًا صغيرًا داكِنَ اللونِ يحمِلُ فى فمه دَجاجةً . عدوتُ خلفَه ، لكنه نَفَذَ من سورِ الحديقةِ ، وانطلق مُسرعًا .

ولأن أصواتَ الدواجنِ الفَزِعَةِ قد سمعها كلُّ مَنْ فى البيت . فقد جاء عم رضوان . وجاء أبى ، وجاءت أمى مُسرِعين ليروْا ما حدَث . وتقدَّمَ أبى نحوى ليطمئنَّ علىَّ قائلاً .

ـ ماذا حدثَ يا وائل .. ؟!

ـ إنه حيوانٌ ، خطف دجاجةً وهرب ، أفلت منى هذا الملعونُ .

ـ ما شكلُه .. ؟

ـ لونُه قاتم . وجَسَدُه طويل ممْطُوط . ووجهُه مسحوبٌ ، أما ذيلُه فطويلٌ كثيفُ الشَّعْرِ . لقد رأيتُه جيدا فى ضوء القمر .

فهزّ أبى رأسَه قائلاً :

ـ إنه ثعلَب ..

فقلت فى تعجُّب :

ـ ثعلَب .. !

ـ نعم .. ثعلب .. إنه يحبُّ لحمَ الطيورِ كثيرًا .

وجاء عم رضوان بمصباحٍ من حجرته . ودارَ مع أبى حولَ الحظيرة .

يتحسَّسَان أسلاكَها ، ليعرفا من أيِّ مكانٍ تسلَّلَ الثعلبُ ، وفجأةً توقَّف أبى فَزِعًا وقال :

ـ ماتلك الثَّغرةُ[1] المفتوحةُ فى هذا الجانبِ يا رضوان .. ؟ !

ـ إنى لم أَرَهَا من قبلُ يا سيدى .

فظهر على وجهِ أبى الضِّيقُ وقال :

ـ نحن الذين شجَّعْنَا الثعلبَ على أن يدخلَ حظيرتَنا ، بتركِ هذه الثغرةِ مفتوحةً .

وقالت أمى فى حزنٍ وخوفٍ :

ـ ومادام قد جاء مرةً ، فسوف يأتى ثانيةً لِيُفزعَنا . ويُفزِع الدواجنَ المسكينةَ .

وصَعِدْنا جميعا إلى البيت ، وَرَبَّتَ أبى على كتفى وقال :

ـ لماذا نزلتَ وحدَك ولم تُوقظْنى .. ؟

ـ إنىِّ أعرِفُ أنك مُتْعَبٌ ، وحتى لا أزعجَك أسرعتُ وحدى إلى الحظيرة .

ـ ولكنْ .. ألم تشعرْ بالخوف .. ؟

ـ ألم تقلْ لى إنى قد أصبحتُ رجلاً ، وإن الرجلَ يجب ألا يخافَ ؟

واقترب أبى منى واحتضنَنى بحنانٍ ثم قال :

ـ الآنَ عرفتُ أنك حقًّا رجلٌ .

---

(١) الثغرة : جزء مفتوح فى جدار أو نحوه .



وجاء عم رضوان إلى أبى مُطْرِقًا وقال فى خَجَلٍ :

ـ اعذُرنى ياباشمهندس . إهمالى هو السببُ فيما حدث .. إننا لا نستحقُّ الحياةَ إذا دخل الغريبُ حظيرتَنا ، ولم نستطعْ الدفاعَ عنها .

وَطَرَقَ البابَ طارقٌ ، وفتح أبى ، وتناول ورقةً من الطارق ، وأغلق الباب ، وقرأ الورقةَ ، وعاد إلينا ثم قال :

ـ نعمْ ياعم رضوان .. عندك حَقّ . إننا لا نستحقُّ الحياةَ إذا دخل الغريبُ حظيرتَنا ولم نستطعْ الدفاعَ عنها . أليس ذلك ما قلتَه .. ؟

ـ بَلَى يا سيدى .. ولكنْ ما هذه الورقةُ التى فى يدك .. ؟!

قال أبى :

ـ إنه استدعاءٌ من القواتِ المسلَّحةِ .



اختفـاء نجـلاء

نزل عم رضوان إلى الحديقةِ ساعةَ الغروبِ فوجدَنى أُطْعِمُ الطيور التى انطلقتْ تأكلُ فى حريةٍ وأنا فرحٌ بها ، وكلبُنا الكبير السنِّ راقدٌ إلى جوارى . ونجلاءُ تلعبُ وهى مبتهجةٌ بمنظر الطيور ، ونظرتُ إلى عم رضوان وقلتُ :

ـ لماذا جاء الثعلبُ ليُفزعَ هذه الطيورَ الآمِنة .. ؟!

ـ لأنه شِرِّير .

ـ إذًا ، علينا أن نكونَ أشرارًا لنقاومَه .

ـ ما ينبغى أن نقاوَم الشرَّ بالشرِّ ، إلا إذا اضطُرِرْنَا إلى ذلك ، فلو امتلأتْ كلُّ النفوسِ بالشرِّ لفسَدَتْ الدنيا .

ـ ومتى نُضْطَرُّ إلى مقاومةِ الشرِّ بالشرِّ ؟

ـ إذا أصرَّ الشرِّيرُ على شرِّهِ .

ـ تعنى إذا عاد الثعلبُ مرةً أخرى ؟ ..

ـ آه .. مَثَلاً ..

ومضَى عم رضوان ، ووقفتُ إلى جوار سورِ الحديقةِ ألعبُ بالكرةِ مع نجلاء ، وفجأةً لمحتُ شبحًا غريبًا يمرُّ إلى جوارِ السور متلصِّصًا ، وهو ينظرُ إلى داخلِ الحديقةِ ، وحين رآنى اختفى مسرعًا . سرتُ إلى جوار السورِ من الداخل ، ونظرتُ من فتحةٍ صغيرةٍ بين النباتاتِ المتشابكةِ المزروعةِ على السورِ ، فرأيته يمرّ مسرعًا مرةً أخرى ، وفى هذه المرةِ كان قريبًا منى . رأيتُ منظرَه غريبًا ، ثيابُه سُودٌ فاتحة ، ووجهُه طويل مسحوب تمامًا كوجه الثعلب ، يلفُّ وجهَه بشَمْلَةٍ سوداءَ تُخفِى نصفَه . ظللتُ أرقُبه فترةً ، ثم دفعنى حبُّ استطلاعى[1] فخرجتُ من الحديقةِ لأعرفَ سِرَّه . مشيتُ خلفَه من بعيدٍ وأنا أراه شبحًا أسودَ ، وظلَّ يدخلُ من حقلٍ إلى حقلٍ حتى اختفى فلم أعثرْ له على أثَرٍ . عدتُ مسرعًا إلى البيتِ فلم أجد نجلاءَ فى مكانِها ، وإلى جوارِ السورِ وجدتُ خطابًا مُلْقىً . فتحتُه وقرأتُه :

(إذا كنتَ تريد أن تعودَ ابنتُك سالمةً ، فاتركْ الأرضَ لأصحابِها) ..

صعدتُ أجرُّ قَدَمَىَّ إلى المنزل ، فوجدت أمّى وحدَها . سألت عن

(١) حب الاستطلاع : غريزة فى الإنسان ، تجعله يحب أن يكشف الأمور ويعرف حقيقتها .

نجلاء ، فسلمتُها الخطابَ ، فَصَرَخَتْ صرخةً عالية ، ثم فَقَدَتْ الوَعْى[1] ، وحين أفاقتْ تركتُ عم رضوان إلى جوارِها ، وخرجتُ أَعْدُو وسطَ المزارِعِ كالمجنونِ ، لعلى أعثرُ على شئٍ يدلُّنى على أختى ، ولكنى عدتُ دونَ فائدة .

واتصلتْ أمى بالشرطة ، فوعدتْ بالبحثِ عنها فورًا ، وهكذا ضاعتْ نجلاءُ من بين أيدِينا . لقد نَفَّذَ فوازٌ كلامَه .

مَرَّتْ أيامٌ طويلةٌ قاسيةٌ منذُ سافرَ أبى ملبِّيًا نِداءَ الوطن ، بعد أن استُدْعِىَ للقواتِ المسلحة . ليتك هنا يا أبى لتقفَ معى فى هذه الأيامِ الصعبةِ ، وتبحثَ معى عن نجلاءَ الحبيبة . وتذكرتُ حديثَه قبل أن يسافرَ .. (**إنى ذاهبٌ وأنا مطمئنٌ لأنى أتركُ فى البيتِ رجلاً . أمُّك وأختُك أمانةٌ فى عنقِك . إنك لم تَعُدْ صغيرًا يا وائل**) .

وأخرجتُ من جيبى خطابَه الذى وصل إلىَّ فى الصباحِ ، وبدأتُ أقرؤه من جديدٍ ...

« **ولدى الحبيب وائل ..**

قُبُلاتى وأشواقى لكم جميعًا . أكتُب إليك من موقعٍ لا يختلفُ كثيرًا عن موقعِ المشروعِ الذى كنتُ أعملُ فيه قبلَ استدعائى . منطقةٍ صحراويةٍ ، ورمالٍ لا حدودَ لها ، ورفاقٍ جاءوا من كلِّ مكانٍ ليشَاركوا فى معركةِ الكرامةِ العربيةِ .

أرجو أن تطمئنُّوا يا ولدى ، لقد انتصرْنا .. انتصرْنا بالإيمان ، وقريبًا أعودُ لأشاركَ رفاقى من جديدٍ فى غزو الصحراء ، فتلك هى معركتُنا التى

(١) فقدت الوعى : أصابها الإغماء فأصبحت لا تحس شيئا .

لا تنتهى ، من أجلِ الحضارةِ والرخاءِ .

وإلى أن نلتقيَ .. تحياتى لك ولوالدتك ولنجلاءَ الغاليةِ ..

جلستُ حزينًا فى حجرتى . لقد ضاعت أختى فى غَمضةِ عَيْنٍ ، وانهارت أعصابُ أمى بعد خطفِها ، وأبى غائب فلو كان موجودًا لكان الأمرُ أهونَ من ذلك ، ولكنه قال إنى أتركُ فى البيتِ رجلاً ، وهو لو كان موجودًا لما استسلَمَ .. كان سيفعلُ أىَّ شىءٍ لكى تعودَ نجلاء . وأنا أيضًا لن أستسلم .. لن أجلسَ هكذا حزينًا .. لن أفقدَ الأملَ أبدًا .. ستعودُ نجلاءُ بإذنِ اللهِ حتى لو كلفتْنى عودتُها حياتى .

● عصابـة الأشـرار ●

فى صباح يوم جاء الريس سلطان للاطمئنان علينا ، فوجد أمى تبكى ، ووجدنى أُواسيها[1] . فصمَّمَ على أن نذهبَ معه إلى بيتِه فى القريةِ ، حتى لا نستسلمَ للأحزانِ ، وقال : **ليهوِّنَ[2] الأمرَ علينا :**

ـ إن نجلاءَ ليست ابنتَكم وحدَكم ، إن كلَّ أسرةٍ فى القريةِ تعتبرُها ابنتَها ، وكلَّ فردٍ هناك يبحثُ عنها ، وسنجدُها بإذنِ اللهِ .

وذهبنا معه إلى القرية ، وفرحتُ بلقاءِ عادلٍ فسوف يهوِّنُ الأمرَ علىَّ قليلاً ، وسوف يصحُبنى لنتجولَ فى القرية ، فهو ابنُ هذه الأرضِ ، ويعرف كلَّ شبرٍ فيها .

---

(١) أواسيها : أحاول أن أخفف أحزانها . (٢) يهوِّن الأمر : يخففه

وبقيتْ أمى فى البيت مع زوجةِ الريس سلطان ، ومضيتُ أنا وعادلٌ إلى السوقِ لِنَشْترىَ بعض الأشياء ، ومشينا كثيرًا حتى تعبتْ أقدامُنا ، ولفتَ انتباهَنا تاجرُ الخرافِ . وحوله قطيعٌ يعرِضُه للبيع ، والخرافُ الصغيرةُ تجرِى هنا وهناك ، والرجلُ يحاولُ أن يجمعَها لتبقَى فى مكانٍ واحدٍ ، حتى لا يشردَ[1] أحدُها بعيدًا فيضلَّ طريقَه إلى القطيع .

وفجأةً همسَ عادلٌ فى أذنى :

ـ انظرْ هناك .

ـ انظرُ إلى ماذا !؟

ـ انظرْ إلى هذا الرجلِ الواقفِ إلى جوارِ الشَّجرةِ .

نظرتُ إلى الرجل ، فوجدتُ هيئتَه مُرِيبةً[2] ، ووجهَه طويلاً مسحوبًا أسودَ اللونِ . به آثارُ جروحٍ قديمة ، ورأيته يلفُّ حولَ رقبتِه شملةً يُخفى بها نصفَ وجهِه . فِصحْتُ على الفور :

ـ إنه يشبهُ تمامًا الرجلَ الذى كان يدورُ حولَ سور الحديقة يومَ خُطِفَتْ نجلاءُ .

وهَمَمْتُ[3] أن أجرىَ لأُمسِكَ به ، فمنعنى عادلٌ وهو يقولُ :

ـ يجب ألا نعرِّضَ أنفسَنا للأذَى ، فهو يحمِلُ سلاحًا .

وفى نفس اللحظةِ وجدتُ الرجلَ قد انتهز فرصةَ انشغالِ صاحبِ الخرافِ فى جمعِ خرافهِ الشاردة ، وسحبَ خروفًا كبيرًا ، ومضى به بعيدًا . ثم نفذَ من السورِ المحيطِ بمِنطقةِ السوقِ .

---

(١) يشرد بعيدًا : يذهب بعيدًا عن القطيع (٢) مريبة : تدعو إلى الشك فيه .

(٣) همت : قررت فى نفسى .

فقلت لعادل :

ـ مَنْ هذا الرجل ؟ إنه سَرَقَ الخروفَ . إنه لِصّ .

ـ ألم يحدِّثْك أبوك عنه ؟ إنه عدُوه . ؟

ـ عدوُّ أبى .. ؟!

ـ نعم .. إنه مغاورى . أكثرُ الرجالِ شراسةً فى عصابةِ فوَّاز .

ـ مغاورى .. عصابة فوّاز .. ؟! .. أنا لا أفهمُ شيئًا مما تقول .

ـ لقد تَعبنا . هيا بنا إلى المنزلِ وسوف أحكى لك كلَّ شيءٍ .

وفى المنزل قال لى أشياءَ عجيبةً ، وبدأتُ أعرفُ حقيقَةَ قيمةِ أبى . إنه عِملاقٌ[1] لا يحارب الحرَّ والبردَ فى موقعِه وسطَ الصحراءِ وحدَهُ ، وينبشُ فى الرمالِ لتتحولَ إلى أرض خضراء فَحَسْب ، لكنه يحاربُ أيضًا نفوسًا شرِّيرةً ، وعقولاً متأخرةً ، فالعصابةُ التى تحدَّثَ عنها عادلٌ تسكنُ بطنَ الجبل ، ولا يعرفُ أحدٌ موقعَها تمامًا ، فرجالها منتشرون فى كلِّ مكانٍ ، وقوَّاتُ الأمنِ تدبِّرُ الخُطَّةَ للوصولِ إلى مكانِها ، وتنتظرُ الفرصةَ المناسبةَ للقبضِ على رجالها متلبِّسين بجريمتهم .

وفى الليالى المظلمةِ تسطو العصابةُ على القريةِ الطيبةِ ـ فتسلبُها ما تَمْلِك . تسرقُ الأبقارَ والجاموسَ والأغنامَ . تسرق القمحَ والأذرةَ والمحاصيلَ ، تخطِفُ النساءَ والأطفالَ . وأحيانًا تخطف الرجال ، وتطلب فِدْيةً[2] كبيرةً من المالِ لكى تردَّ المخطوفَ إلى أهلِه .

وظلَّت القريةُ زمنًا طويلاً صامتةً مستسلمةً راضيةً بما هى فيه من ذُلٍّ ، حتى جاء أبى ، ولم يعجبْه من القرية هذا الاستسلامُ ، ولأنه قد

---

(١) العملاق : الضخم الكبير ، والمقصود هنا أنه رجل عظيم .

(٢) الفدية : مبلغ من المال تطلبه العصابة كثمن لردّ المخطوف .



صارَ واحدًا من القرية ، وكلُّ فردٍ فى القرية يعرفُه ، فقدْ دخلَ كلَّ دارٍ ، وأثارَ القريةَ كلَّها على العصابة ، ونصحَهم بألا يستسلِموا لها ، وأن يقاوموها حتى لا تتمادَى فى طُغيانها(١).

واستجابتْ القريةُ ، وبدأت تقاومُ العصابةَ . وعرف فوازٌ وأفرادُ عصابتِه أن أبى هو الذى أثارَ القريةَ عليهم ، وأن أبى هو عدوُّهم الأول .

وتذكرتُ على الفورِ قولَ أبى للريس سلطان قبل أن يبدأَ المشروع .. «علينا أن نعملَ ونحن على حَذَرٍ» . وتذكرتُ موقفَ العصابةِ يومَ بدأ المشروعُ الكبير .

إذًا ، فأبى هو العدوُّ الأولُ للعصابةِ ، وقد تكون أختى نجلاءُ هى الضَحيَّةَ .

وأخرجتُ من جيبى خطابَ أبى الذى يسألُ فيه عن نجلاءَ . وقرأتُه من جديدٍ ، وتذكرتُ وصيتَه لى بأن أمى ونجلاءَ أمانةٌ فى عنقى ، وسقطتْ الدموعُ من عينيَّ على الرغمِ منى ، ورفعتُ يَدَيَّ إلى السماء ودعوتُ الله أن يَرجَع إلينا نجلاءَ ، قبل أن أردَّ على خطابِ أبى وأخبره أن نجلاءَ بخير ، وحينئذٍ أكونُ صادقًا فى قولى .

---

(١) تتمادى فى طغيانها : تستمر فى ظلمها .



● فى وكــر اللصــوص ●

ذاتَ صباح وأنا ذاهب لأطعمَ الطيورَ ـ رأيتُ شيئًا غريبًا معلّقًا على بابِ الحظيرة . وحينما اقتربتُ منه ونظرتُ إليه جيدًا وجدتهُ جثةَ الثعلب . وجاء عم رضوان رافعًا رأسَه وهو يقول فى سرورٍ :

ـ لقد عاد الملعونُ بالأمسِ ، فوجد الثغرةَ مسدودةً ، فدار حولَ نفسِه لا يدرى ماذا يفعلُ . وتربصتُ له إلى جوارِ السور ، عند نفس المكانِ الذى هربَ منه فى المرةِ السابقة ، وبكلِّ قوةٍ ضربتُه بعصاىَ على رأسه فحطَّمتُه ، ولم أضربه بالبندقية حتى لا أُزعجَكم ، وأقسمتُ ألَّا أنامَ إلا بعد أن أُخرجَ أحشاءَه ، وحشوتُ بطنه قشًّا ، وعلقتُه كما ترى ليكونَ عِبرةً لمن تسوِّلُ له نفسه(١) أن يقتربَ من الحظيرة .

وحضر عادلٌ لزيارتى فى هذا اليوم ، واخترنا لنا مكانًا هادئًا تحت شجرةِ التوتِ فى الحديقة ، تلك الشجرةِ التى كانت تحبُّها نجلاءُ ، وكانت تطلب منى دائمًا أن أصعدَ إلى أعلاها لأحضرَ لها التوت .. أين أنتِ الآن يا نجلاءُ .. ؟!

وأخذنى عادلٌ من يدى . وطلب منى أن ألعبَ معه الشطرنج ، ولعله أراد أن يسلِّينى حتى لا أذكرَ أختى ، وقال لكى يرغِّبنى فى اللعب :

---

(١) لمن تسول له نفسه : لمن تحدّثه نفسه .

ـ الغالبُ سوف يأخذ من المغلوبِ هديةً . أو أىَّ شيءٍ يذكُره دائمًا .

ولعبْنا . وغلبنى عادل دورًا . وغلبتُه أنا دورًا . واحترنا ماذا نفعلُ وقد غَلَبَ كلٌّ منا الآخرَ مرةً ، وفكرتُ قليلاً ثم قلتُ لعادل :

ـ لِيبقَ كلٌّ منا على وعدِه ، سأعطيك هديةً لن تنساها ، وأنت أيضًا تعطينى هديةً .

وقمت فأحضرتُ له قصةً كنت قد قرأتُها وأعجبتْنى كثيرًا ، وقلتُ له :

ـ هذه القصةُ سوف تعجبُك ، وستذكرُنى بها دائمًا .

واقترب منى عادلٌ وهَمَسَ :

ـ أما أنا فلن أعطيك هديةً ، ولكنى سأصَحُبك غدًا فى مشوارٍ سوف تحكى عنه بقيةَ عمرِك .

ـ مشوار .. أىّ مشوار .. ؟!

ـ احضر إلىَّ غدًا فى القريةِ بعد العصر ، وسوف أُطْلِعُكَ على سِرٍّ رهيبٍ لن تنساه أبدًا .

فى الموعد المحدَّد ذهبتُ إلى عادلٍ ، فصحبنى فى طريقٍ طويل يبدأُ من وَسَطِ القرية وينتهى عند طَرَفِها ، ثم أطلعنى على سردابٍ طويلٍ مُظلمٍ تحت الأرض وقال :

ـ هذا السردابُ يوصِّلُ إلى وَكْرِ العصابة .

ـ واثقٌ أنت من ذلك .. ؟

ـ لقد سمعتُ الرجالَ فى القرية يقولون ذلك بصوتٍ خافتٍ خوفًا من العصابة .

ولقد تأكدتُ من ذلك حينما رأيتُ مغاورى يدخلُ هذا السردابَ عند الغروبِ يومًا ، وتتبعتُه قليلاً ، ولكنى عدتُ خائفًا .

ـ ولماذا تخافُ .. ألستَ رجلاً .. !

ـ هيا بنا . إن وجودَك معى سيشجِّعُنى .

ودخلنا السرداب ، ومضينا نتخَّبطُ فى الظلامِ ، والسردابُ طويلٌ ، ولا ندرى أين نهايتُه ، ولاكم من الوقتِ مَضَى علينا ، حتى لاحظْنا أن الظلامَ قد بدأ يتلاشى[1] شيئًا فشيئا ، فعرفْنا أن السردابَ قد اقتربَ من نهايتِه ، فأسرعْنا فى السيرِ لا نخافُ شيئًا ، ولا نشعرُ بأىِّ تعبٍ ، حتى وجدْنا أنفسنا فجأةً نُطِلُّ على بطنِ الجبلِ القريبِ من موقعِ المشروعِ الذى يعملُ فيه أبى .

تسللنا بحذر ، وسرنا مسافةً أخرى طويلةً مختبئين خلفَ الصخور ، ووقعتْ أبصارُنا على مِنطقةٍ منخفضةٍ تحوطُها الصخور من كلِّ جانب ، والغريبُ أنها كانت مزروعةً بنباتٍ غريبٍ لم نعرفْه . وأخذنا بعضَ أعوادٍ منه ، وكانت الشمسُ قد بدأتْ تختفى ، والغروبُ يقترب ، فعدنا إلى السردابِ مسرعيْن .

وفرحتُ كثيرًا بهذا الكشف الجديد ، الذى قد يقرِّبُنى من معرفةِ مكانِ العصابة ، وأيضًا مكانِ نجلاء . ولم أذهبْ إلى البيتِ ، وإنما

(١) يتلاشى : يختفى .

ذهبتُ إلى صديقِ أبى المهندس محمود الذى رآنى أجرِى نحَوه مسرعًا فقال :

ـ ماذا حدث يا وائلُ .. ؟!

ـ قلتُ له وأنا أَلْهَثُ :

ـ لقد عرفتُ الطريقَ إلى العصابةِ التى خطفت أختى .

ـ وما هذا الذى بيدك .. ؟!

وكانت الأعوادُ الخُضْرُ مازالت بيدى فأعطيته إياها ، فتأمَّلَها ثم هتفَ باستغرابٍ :

ـ من أين أتيتَ بهذه الأعوادِ ؟ إنها نباتُ الدخان ، والقانونُ يمنع زراعتَه .



● الخــلاص ●

فى مكتب الضابط «علاء» رئيسِ نقطة الْشرطة ، جلسْنا أنا والمهندس محمود . وحكينا له كلَّ شىءٍ عن العصابة والسردابِ وحقلِ الدخان . هزَّ الرجلُ رأسَه وابتسم ثم بدأ يتكلم ، ونحن ننصتُ له تمامًا ، فقد كنا فى شوقٍ لما سيقولُ من أسرارٍ :

ـ لقد كنا نتابعُ العصابةَ منذ بدأتْ أعمالَها الإجرامية ضدَّ القريةِ والقُرى المجاورة .

ولا نستطيع أن نُنْكِرَ أن الفضلَ فى الكشفِ عن أفرادِ العصابةِ يرجعُ إلى المهندس حسامٍ والدِ وائلٍ ، الذى استطاع أن يجعلَ القريةَ تثورُ على العصابةِ بعد أن كانت مستسلمةً لها . ونتيجةً للصراعِ بين أفرادِ العصابة وأبناءِ القرية استطَعْنا أن نعرفَ شخصياتٍ كثيرةً من العصابةِ . وأن نجمعَ عنها المعلوماتِ عن طريقِ أفرادِنا المنتشرين فى جميع أنحاء القرية . أما مزرعةُ الدخانِ التى كشفها وائل ، فقد كانت حقًّا شيئًا جديدًا بالنسبة لنا ، لأن رجالَنا لم يظهروا فى المكانِ الذى توقَّعْنا أن العصابةَ تقيمُ فيه ، لأنهم لو ظهروا للعصابةِ لغيَّرتْ مكانَها لتضليلِ الشرطة . وبظهور حقلِ الدخانِ هذا ، فقد أصبح لدينا دليلٌ ملموسٌ يجعل من حقِّ الشرطةِ مهاجمة العصابة .

وقال المهندس محمود :

ـ ولكنْ .. هل من المؤكَّدِ أنَ وْكْر العصابةِ فى هذا المكان ؟

فأجاب الضابط علاء :

ـ لقد كانوا قبلَ ذلك لا يتجمَّعون فى مكانٍ واحدٍ حتى لا يسهلَ القبضُ عليهم ، أما فواز زعيمُهم فلم يكن أحدٌ يعرفُ له مكانًا على الإطلاق . وقد كان يهُّمنا القبضُ عليه أكثرَ من اهتمامِنا بالقبضِ على بقية الأفراد ، فهو العقلُ المدبِّر لكلِّ أفرادِ العصابة .

وقال المهندس محمود :

ـ وما الذى جعله يظهرُ فجأةً ؟

ـ حين بدأ العملُ فى مشروعِ استصلاح الأرض ، تجمَّع أفرادُ العصابةِ من كلِّ مكانٍ لمقاومةِ المشروع ، وجاء زعيمُهم فوَّازٌ من الوَكْرِ الذى كانَ يأوِى إليه ، وظهر لأولِ مرةٍ يومَ بدايةِ المشروع .

ـ ولماذا يقاومون هذا المشروعَ .. ؟!

ضحك الضابط علاء ثم قال :

ـ إن العصابةَ تعلمُ أن المِنطقةَ إذا استُصْلِحَتْ أرضُها ، وامتلأتْ بالناسِ ، فإن فى ذلك نهايتَهم . كما أن فوازًا كان يعتبرُ نفسَه هو المالِكَ لهذه الأرضِ ، والمسيطِرَ عليها . ولا يريدُ أن ينتزعَها أحدٌ منه . فمشرُوعكم كان سببًا مباشِرًا فى أن يجتمعَ شملُ العصابةِ لنتمكن من القبض عليها . ونخلِّصَ الناسَ من شرورِها .

ثم قال الضابط باسمًا : وهناك سبب آخر يجعلنا نعجِّل بالقبض على العصابة .

فقال المهندس محمود :

ـ وما هو ؟

ـ هو إنقاذُ حياة نجلاءَ ، ابنةِ المهندس حسام ، الرجلِ الذى ملأ هذه المِنطقةَ بالحياة ، ثم ذهب ليقومَ بدورِه فى معركةِ الشرفِ والكرامة .

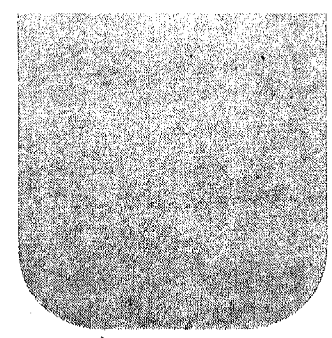
حين وصلنا إلى موقع العمل ، أنا والمهندس محمود والريس سلطان ، وبدأ العملُ اليوميُّ ـ كان هناك عددٌ كبيرٌ من رجالِ الأمن ، يرتدون ملابسَ العمّال ، وينتشرون فى الموقعِ الكبير . واستمر العملُ طَوالَ اليوم . وقبيلَ الغروبِ كان الموقعُ كلُّه والجبلُ وبطنُ الجبلِ محاصَرًا بقواتِ الأمن ، التى بدأت تضيِّقُ الحَلْقَةَ شيئا فشيئا حول فوازٍ وعصابتِه .

وكانت لحظةُ غروب الشمس هى لحظةَ غروب العصابةِ ، فقد سقطتْ فى أيدى رجالِ الأمن ، ورأينا فوازًا الذى كان صوتُه عاليًا منذ أيامٍ ، وقد سار ذليلاً ، ومغاورى ، وقد كَشَفَ عن وجهِه الكئيب .

وجريتُ ومعى المهندس محمود ناحيةَ الضابط علاء ، الذى شكَرَنا على تعاوننا مع قواتِ الأمن ، وسلَّمَنَا نجلاء أختى ، التى كانت سعيدةً بخلاصها ، وكنا بها سعداءَ .

وفى المنزلِ احتضنتْ أمى صغيرتَها نجلاءَ ، وظلت تضحكُ وتبكى فى نفسِ الوقتِ . وبقيتُ إلى جوارِها حتى هدأت أعصابُها ، وارتاحت نفسُها . ثم قمتُ لأكتبَ لأبى ردَّ الخطابِ ، وكنت قد دعوتُ اللهَ أن يعيدَ إلينا نجلاء قبل أن أردَّ عليه ، حتى أكونَ صادقًا حين أقولُ لأبى إن نجلاءَ بخير ، وقد استجاب اللهُ لدعائى . فالحمدُ للهِ ..





سلسلة

قصص و مغامرات للأولاد والبنات

صدر منها

إشراف
الدكتورة سهير القلماوى

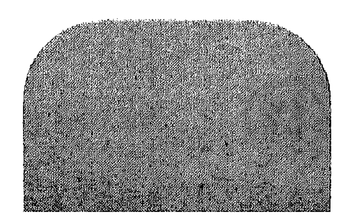
ترقبوا صدور القصة التالية

أوزوريس يعود

مغامرة مثيرة تقوم بها عزة وأخوها الصغير، حيث يلتقيان بأوزوريس وايزيس ، وبالإله الشر سيت، ويمران بأحداث رهيبة يتعرضان فيها للهلاك ، ويشهدان الصراع بين الخير والشر ... كيف ارتدت عزة وأخوها عبر التاريخ إلى عصر الفراعنة ؟ .

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى - تليفون : ٧٧٤٨١٤ - برقيا : شروق القاهرة - تلكس : SHROK UN 93091
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - تليفون : ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥١٠١ - برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE







القصّة الفائزة بالجائزة الثالثة
فى مسابقة قصص الأطفال
القرية الطيبة

هل زرت ريف مصر الجميل يومًا ، أو قضيت فيه فترة من حياتك ؟

لقد كان من حظ بَطَلَىْ هذه القصة أن يسعدا بهذه الفرصة ، حيث كان أبوهما المهندس يشرف على مشروع استصلاح زراعى ضخم ، ويتعرض هو وأسرته لمخاطر جسيمة تهددهم بها عصابة من الأشرار الذين لا يريدون إصلاحًا .. ولكن وطنية الأب ، وشجاعة الطفل ، ويقظة حراس الأمن تنقذ الموقف فى الوقت المناسب ...

اقرأ القصة المثيرة ، وعِشْ لحظات مع أبطالها فى ريف مصر الجميل

الدكتور محمد محمود رضوان
مقرر لجنة التحكيم

إنه كتاب
لا بد أن
يقرأ



٨٠ قرشا